د. أودي أديب*

حرب ٦٧: نهاية "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية"

تبدو حرب ٦٧، من ناحية تاريخية ومفهومية، معلما أساسيا في تاريخ إسرائيل. فمنذ تأسيس الدولة عام ١٩٤٨، حتى حرب ٦٧، عاشت إسرائيل بنفسها ولنفسها، وعلى ضوء "الأخلاقيات الدفاعية لليهود"[١]. بدلت الحرب، وخصوصا احتلال المناطق الفلسطينية الذي تبع ذلك، هذه "الأخلاقيات الدفاعية"، أو بمعنى آخر، صورة إسرائيل كدولة يهودية مستقلة ذاتيا أمام جبهة هائلة من "العالم العربي" الذي يحيط بها. وفوق ذلك، أصبحت "أرض إسرائيل" بين عشية وضحاها بلدا منقسما، هي إضافة إلى ذلك بلد في نهاية القرن التاسع عشر. مع ذلك، بعد حرب ٦٧، بالنسبة لكتّاب التيار الإسرائيلي الفلسطينيين، فلم تعد هناك "واحدة"، بل "واحدة من الاثنتين". وهكذا فإن الفلسطينيين الذين كانوا جزءا مما يسميه فوكو "العالم الآخر"، تحولوا إلى العالم الإسرائيلي. والحضور المباشر للفلسطينيين خلق تنافرا إدراكيا قوّض الأخلاقيات السائدة لإسرائيل كمجتمع يهودي مستقل ذاتيا. نتيجة لذلك، تحولت إسرائيل من دولة – قومية إلى إمبراطورية صغيرة متعددة القوميات، أي إلى دولة بجسد سياسي كوسيلة، وكرمز لقوة سياسية وعسكرية. وهي قوة عسكرية موجهة بشكل مباشر نحو الفلسطينيين، سكان المناطق المحتلة.

مع ذلك، فبالنسبة للفلسطينيين، وللمراقب الهيغلي، كانت حرب ٦٧ واحتلال المناطق تاريخا يعيد نفسه أكثر مما كانت مجرد بداية. وعلى ضوء حرب ٦٧ واحتلال كامل أجزاء فلسطين، يستطيع الإنسان أن يرى أنه لم تكن هناك "لحظة مملة" في تاريخ الصهيونية، ما دامت محاولات قادتها ظلت مستمرة في احتلال كامل التراب الفلسطيني وفرض السيادة عليه. وكما يصور هيغل ذلك، فإن "بوم منيرفا يفرد جناحيه فقط عند حلول الغسق". ولإعادة صياغة تعليق ماركس المعروف جيدا على هيغل، ففي حرب ٦٧ أعاد تاريخ الصهيونية نفسه مرتين.

بالنسبة للفلسطينيين، والشعوب الأخرى في المنطقة، كان ذلك إدراكا مأساويا، أو بمعنى آخر، تحويلا للموضوع الصهيوني التاريخي إلى واقع له أجنحة لأول مرة منذ بدأ في فلسطين العثمانية، عملا أخرق، على وجه الخصوص بسبب استخفافهم بنتائجها،

* أستاذ التاريخ في الجامعة المفتوحة في اسرائيل .

اسرائيل: فعل عسكري متواصل ضد الفلسطينيين

وبسبب نظرتهم إليها كواقع غير موضوعي، أي لا كنهاية لا يمكن تجنبها لتاريخ إسرائيل الصهيونية، وإنما كحادث، وبالتالي كحادث غير رئيسي ضمن ذلك التاريخ. وبالنسبة لهم، فإن ما تم فعله في حرب ٦٧ ما يزال مما لا يمكن فعله.

من ناحية أخرى مفهومية، تتعلق بوجهة نظر الشعب الإسرائيلي، فإن حرب ٦٧ كانت نقطة انفصال وإطارا مرجعيا جديدا يجب التركيز عليه، بشكل أساسي لأن الشعب الإسرائيلي ما يزال يعيش في "الكهف" الأفلاطوني ولا يستطيع أن يرى شمولية العملية الصهيونية التاريخية. لذلك فإن هدف هذه الورقة هو التركيز على دراسة التحوّل المفهوميّ الذي عبره المجتمع الإسرائيلي بعد حرب ٦٧. ليس سؤالي هو: ماذا كان تاريخ حرب ٦٧ في الحقيقة، ولكن: كيف أعيد تركيب هذا التاريخ من قبل التيار الإسرائيلي في الهيستوريوغرافيا والفكر السياسي؟ لذلك سوف أحاول أن أبرز ما أسميه "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية" القديمة داخل الظروف المستجدة التي تبعت حرب ٦٧. إن فكرتي الرئيسية هي أنه بعد حرب ٤٨ ظلت هناك محاولة من كتاب التيار الرئيسي لإنعاش "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية" وإعادة بنائها، تواجه ذلك محاولة من قبل الكتّاب الناقدين لتقويض تلك الأخلاقيات. بمعنى آخر، جاءت المحاولة النقدية من أجل إعادة تعريف الهوية الإسرائيلية كما كانت في حقيقتها بعد ٦٧، وجها لوجه مع الفلسطينيين، وليس كما كانت قبل ٦٧، كهوية يهودية لذاتها وبذاتها. وهكذا فإن حرب ٦٧ حفزت نزاعا داخليا يقسم الإنتلجنتسيا الإسرائيلية بين كتاب التيار الرئيسي الذين يحاولون تعريف دولة إسرائيل بمعايير من روح "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية"، والكتاب النقديين الذين يحاولون ذلك عن طريق آخر، أي تفسير الهوية الإسرائيلية في ضوء الظروف الجديدة التي خلقتها حرب ٦٧. يقول هوبسباوم: "الهويات الجمعية مثل القمصان لا مثل الجلد[٢]" بمعنى أنها مخترعة دائما، ومترجمة ضمن ظروف سياسية محددة.

الإيديولوجيا السائدة قبل حرب٦٧

انبثقت الصهيونية، كرد فعل قومي يهودي على موجة المجازر النابعة من معاداة السامية، التي انتشرت في جنوب روسيا وأوكرانيا بعد اغتيال القيصر أليكساندر الثاني عام ١٨٨١. تأسس التنظيم الصهيوني الأول، أحباء صهيون، في ذلك الوقت، من قبل من يسميهم يوآف بيليد "مجموعة صغيرة من النخبة اليهودية[٣]". ومن الواضح أنه كان نسخة يهودية من القومية الروسية العضوية[٤]، أي أنه محاولة لتعريف اليهودية الأوروبية الشرقية كهوية قومية خاصة.

مع ذلك، حدث تطور الصهيونية في الواقع بتدرج بطيء نحو حركة استيطانية كولونيالية، فبعد تأسيس حركة "أحباء صهيون"، خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين، أخذ سيل خفيف وجديد من الهجرة الصهيونية يدخل فلسطين العثمانية ويستوطن هناك. وبتعبير الخطاب الصهيوني الإسرائيلي، جاءت هذه الهجرة في موجتين: "العاليا" الأولى والثانية.[٥] هاتان الهجرتان غيرتا كليا القومية الأوروبية الشرقية الشعبية لأحباء صهيون. وفوق ذلك، فإن هرتسل، مؤسس

نمت وقويت معارضة السكان الفلسطينيين المحليين للمشروع الصهيوني. وطبقا لذلك، كان تاريخ العقود الثلاثة للانتداب البريطاني في فلسطين في الأساس تاريخا لصراع قومي – للحركة القومية الفلسطينية في مواجهة الاستيطان الصهيوني وحارسه البريطاني. وقد انتهى الصراع بهزيمة القوات الفلسطينية والعربية في حرب ١٩٤٨، التي أجبرت فيها القوات الصهيونية أكثر من مليون مواطن فلسطيني على ترك أراضيهم. وهكذا ولدت دولة إسرائيل باعتبارها "دولة يهودية".

الصهيونية السياسية وقائدها، أعلن بوضوح في الكونغرس الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ عن توجهه الأوروبي الكولونيالي المتعلق بإقامة دولة يهودية في فلسطين. وكتب:

> إذا أعطانا جلالة السلطان فلسطين، فسوف نقوم، بالمقابل، بتسوية الشؤون المالية التركية. أما بالنسبة لأوروبا، فسوف نشكّل هناك خندقا ضد آسيا. سوف نكون رواد التمدن في مواجهة البربرية[٦].

وبالتأكيد، فإن هرتسل، الكاتب النمساوي والصحافي المشهور، رأى الصهيونية بمعايير كولونيالية أوروبية أكثر مما رآها بمعايير القومية اليهودية الأوروبية الشرقية لأحباء صهيون. وهكذا، وتحت الانتداب البريطاني في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، بدأ السيل الخفيف للهجرة اليهودية يصبح تيارا ثابتا، يقوم بدعم اليشوف الصهيوني[٧].

وفي تزامن مع ذلك، نمت وقويت معارضة السكان الفلسطينيين المحليين للمشروع الصهيوني. وطبقا لذلك، كان تاريخ العقود الثلاثة للانتداب البريطاني في فلسطين في الأساس تاريخا لصراع قومي – للحركة القومية الفلسطينية في مواجهة الاستيطان الصهيوني وحارسه البريطاني. وقد انتهى الصراع بهزيمة القوات الفلسطينية والعربية في حرب ١٩٤٨، التي أجبرت فيها القوات الصهيونية أكثر من مليون مواطن فلسطيني على ترك أراضيهم. وهكذا ولدت دولة إسرائيل باعتبارها "دولة يهودية".

ورغم الحالة الكولونيالية لدولة إسرائيل، ظل التيار الوسطي للهيستوريوغرافيا (الكتابة التاريخية) والفكر السياسي يستخدم تعبير الصهيونية الأيديولوجية، أي استمرار الإلهام الروحي ليهود أوروبا الشرقية وتحقيقه. ويعتبر بن – تصيون دينور ممثلا بارزا لهذه المدرسة في التفكير، وهو الذي ظل أكثر من عشرين عاما أكاديميا قياديا في دائرة الدراسات اليهودية في الجامعة العبرية. وهو بكلمات إيلان بابيه:

> أسس دينور مدرسة مؤرخين، هي مدرسة القدس، التي حاولت منذ ثلاثينيات القرن العشرين أن تعيد كتابة التاريخ اليهودي، بحيث تكون أرض إسرائيل في مركزه[٨].

التناقض هو أن دولة إسرائيل، التي أقيمت فوق أراضي شعب آخر، هو الشعب الفلسطيني، وطردته واضطهدته منذ ذلك الحين، استمر تعريفها من قبل كتّاب "مدرسة القدس" بمصطلحات الانعتاق اليهودي لأحباء صهيون. طبقا لذلك، تجاهل هؤلاء الكتاب وجهة النظر السياسية الأكثر واقعية، أساسا لأن حدود إسرائيل يجري تعريفها من قبلهم بأنها "الشعب اليهودي"، كهوية قومية مستقلة. وباستخدام تعبير غيلنر، فقد "اخترعوا الماضي من أجل غرض سياسيّ حاليّ".

كتاب التيار الرئيسي بعد حرب ٦٧

في بداية سبعينيات القرن العشرين، بدأت الدراسات النقدية تنشر. كانت في غالبيتها كتابات الأكاديميين الشباب تقريبا في جامعة تل أبيب والجامعة العبرية، مثل المؤرخين أنيتا شابيرا ويوسف غورني وييغال عيلام وإسرائيل كولات وشموئيل ألوغ وعلماء الاجتماع يونتان شبيرو وحانة هرتسوغ وباروخ كيمرلينغ. هؤلاء الكتاب كانوا يمثلون جيل الكتاب الإسرائيليين، الذين تعلموا وسط الظروف السياسية التي طرأت بعد حرب ٦٧. وبالتتابع، جاءت معظم الدراسات الجديدة معنية بممارسات الحركة الصهيونية التي أسست نفسها في مواجهة الشعب الفلسطيني أكثر من كونها استلهاما روحيا ليهود أوروبا الشرقية[٩]. وفي تقديمه لمقالة حول

يبدو من الواضح تماما أن المؤرخ يسرائيل كولات يرى "الحقائق الفلسطينية" مجرد عامل ثانوي في تاريخ الصهيونية، في حين تكون "نقطة انطلاق الصهيونية" بالنسبة له هي "فكرة الشعب اليهودي".
وأنيتا شابيرا ممثلة بارزة للتيار الرئيسي لكتاب ما بعد ٦٧، لذلك فإن كتبها خلال خمس وعشرين سنة ماضية، ظلت تشكل علامة مهمة في تطور الهيستوريوغرافيا الصهيونية. وبعكس الكتاب السابقين، تعود شابيرا إلى موضوع تاريخيّ مجسد، هو حركة العمل الصهيونية، وتحاول أن تدرس الاستيطان الصهيوني كما تطور في الظروف المتغيرة في فلسطين العثمانية والانتدابية.

"الحركة الصهيونية والعرب" أبرز المؤرخ الصهيوني يسرائيل كولات هذا التغيير:

> في السنوات الأخيرة، أبدى الأكاديميون والجمهور العام اهتماما كبيرا بالعلاقات اليهودية العربية. من وجهة نظر التاريخ الصهيوني، فإن انتقال الاهتمام من سمات "المسألة اليهودية" إلى مشكلة العلاقات اليهودية العربية بات أكثر وضوحا. إنه ينقل زمن الحوار – والمجال الذي يحدد المشكلة – من تاريخ اليهود ومأساتهم إلى العلاقات في الشرق الأوسط. ذلك يغير منظور الصهيونية من موقع تكون فيه كل فصول التاريخ اليهودي هي الجوهر، إلى آخر يصبح فيه مركزيا ما كان يعتبر محليا وقاصرا نسبيا[١٠].

انتقد كولات التوجه القومي اليهودي الأوروبي الشرقي لما يسميه المؤرخ شموئيل ألموغ "مدرسة القدس"، وأشار إلى أن الأكاديميين من أبناء جيله يتعاملون مع الصهيونية كتطور في سياق الشرق الأوسط، بدلا من كونها "تاريخ اليهود". وهو بالتأكيد يقحم "مشكلة العلاقات اليهودية العربية" بدلا من "المسألة اليهودية". وبمعنى آخر، فهو ينظر إلى تاريخ الصهيونية وكأنه تاريخ الصراع الصهيوني الفلسطيني بدلا من أن يكشف التاريخ اليهودي. نتيجة لذلك، وبخلاف كتاب سابقين، فهو يعطي اعتبار الظروف الفلسطينيين كعامل تاريخي. وهكذا فإن كولات يخطو خطوة أمام كتّاب "مدرسة القدس"، لأنه أدرك، في الغالب، "حقائق أرض إسرائيل". مع ذلك، فإن كولات، مثل غيره من كتاب التيار الرئيسي، يستمر في رؤية الحقائق الفلسطينية داخل إطار مرجعيته، الأيديولوجيا الصهيونية، بدلا مما يسميه غرامشي "الكتلة التاريخية" لفلسطين العثمانية والانتدابية. وهكذا فإنه بعد نهاية التقديم يصبح أقل وضوحا. وفي حين يؤكد على الموقف الصهيوني التاريخي تجاه العرب، فإنه يعترف أن الصهيونية كانت مدفوعة أساسا بتوجهها القومي اليهودي الأوروبي الشرقي. وهو يكتب:

> من الصحيح أن نقطة انطلاق الصهيونية لم تكن من الحقائق الواقعية لفلسطين، وإنما من مشكلة الشعب اليهودي وفكرة الحقوق اليهودية [...] لكن ذلك لا يعني أن حقائق فلسطين لم يكن لها اعتبار على الإطلاق[١١].

يبدو من الواضح تماما أن كولات يرى "الحقائق الفلسطينية" مجرد عامل ثانوي في تاريخ الصهيونية، في حين تكون "نقطة انطلاق الصهيونية" بالنسبة له هي "فكرة الشعب اليهودي".

وأنيتا شابيرا ممثلة بارزة للتيار الرئيسي لكتاب ما بعد ٦٧، لذلك فإن كتبها خلال خمس وعشرين سنة ماضية، ظلت تشكل علامة مهمة في تطور الهيستوريوغرافيا الصهيونية. وبعكس الكتاب السابقين، تعود شابيرا إلى موضوع تاريخيّ مجسد، هو حركة العمل الصهيونية، وتحاول أن تدرس الاستيطان الصهيوني كما تطور في الظروف المتغيرة في فلسطين العثمانية والانتدابية. على أية حال، فإن الاستيطان الصهيوني في كتبها محمل دائما بما يسميه كولات "المعنى الذاتي للصهيونية". وكنتيجة لذلك، فإن الانطباع العام لدراساتها ما يزال دفاعيا أكثر من كونه نقديا. وهي لهذا السبب تعتبر المؤرخة الرسمية لحركة العمل الصهيونية.

في عام ١٩٩٢ نشر كتابها (سيف الحمامة: سبيل الصهيونية إلى القوة ١٨٨١ – ١٩٤٨)[١٢]. وكما يمكن أن يتوقع، فقد حظي برد فعل إيجابي ضمن التيار الرئيسي للمؤرخين والكتاب السياسيين. والكتاب في الواقع نسخة موسعة من كتاب شابيرا السابق، السير نحو الأفق (١٩٨٧)، الذي تتبعت فيه أصول عسكرة الصهيونية. والسؤال الرئيسي في الكتاب هو كيف أن حركة تسميها شابيرا "الثوريين"، تطلعت إلى طريقة تحقق عنصرين ـ الاشتراكي والقومي[١٣]. فقدت في النهاية روحها الثورية، وتحولت إلى مجرد مجتمع عسكري؟ والكتاب في غالبيته محاولة دفاعية لوصف هذا التحول وتفسيره. وتطرح شابيرا بالتأكيد ما يشير إلى أن ذلك لم يكن خطأ "الثوريين" الصهيونيين. وبمعايير تفسير شابيرا، فإن "العالم الحقيقي" هو الذي أجبر المثاليين الصهيونيين على احتضان التوجه العسكري.

طبقا لذلك، فإن كتاب شابيرا، الذي يمكن أن يحكم عليه من عنوانه، محاولة أخرى لتحليل موقف ما تسميه "حركة العمل الصهيونية" تجاه الشعب الفلسطيني المحلي. ونقطة الانطلاق في الكتاب هي أن الموقف الصهيوني عموما مستوحى من التراث الروحي والسلمي ليهود أوروبا الشرقية. وطبقا لما ترى، لم تكن السياسة العدوانية للحركة الصهيونية هي التي أجبرتها على المصادقة على ما تسميه "أخلاقيات الدفاع"، بل المعارضة العربية العنيفة لليشوف الصهيوني.

تقول شابيرا "حدث تحوّل أخلاقياتنا القومية من خلال صراع القيم التي حملناها من الدياسبورا، مع الواقع الذي واجهناه في البلاد"[١٤].

مع ذلك، فهي تستنتج، أنه حتى اليوم، وبالرغم من تحول أخلاقنا القومية، ، أي اعتماد "الأخلاقيات الدفاعية" الجديدة من قبل الأجيال التي ولدت في إسرائيل، "فإن العقلية ما زالت، إلى حدّ كبير، هي العقلية اليهودية القديمة"[١٥].

يدور كتاب شابيرا في غالبيته حول التحول الصهيوني في عقلية يهود أوروبا الشرقية. وبكلمات شابيرا، يعرّف هذا التحول بأنه "مظهر لأخلاقيات قومية جديدة". والموقف العسكري الصهيوني من وجهة نظر شابيرا، يجب أن ينظر إليه أساسا كتحول في العقلية. لذلك، فإن شابيرا نادرا ما تعود إلى الموقف العسكري للسياسة الصهيونية تجاه الفلسطينيين. وهي تقول بوضوح إن كتابها ليس

العنف الاسرائيلي المستمر: مظاهر حديثة

حول الحقائق، لكنه تفسير جديد للحقائق. التاريخ الحقيقي للعلاقات الصهيونية الفلسطينية تمت كتابته، كما تقول، لذلك يتركز اهتمامها على السؤال الأساسي: كيف انعكس التحول التاريخي للظروف الصهيونية الفلسطينية على "المستوى الأيديولوجي والسياسي والروحي".

تبدأ شابيرا تحليلها للتوجه الصهيوني الإسرائيلي العسكري بما تسميه "الأخلاقيات الدفاعية" ليهود أوروبا الشرقية. وهي تستخدم هذه "الأخلاقيات اليهودية الدفاعية" كتصنيف توضيحي أساسي لوصف موقف السياسة الصهيونية المبكرة. وتقول شابيرا إنه كانت هناك وجهتا نظر متناقضتان تجاه "الأخلاقيات القومية الجديدة": المنظور اليهودي الروحي الذي

تبدأ شابيرا بالظروف اليهودية في روسيا القيصرية، وبعد ذلك تقدم فلسطين العثمانية باعتبارها نقطة نهاية، لا نقطة بداية، لتحليلها. لذلك يكون عنوان الفصل الثاني "اللقاء مع الواقع في أرض إسرائيل". وتشير شابيرا إلى أن النوع الجديد من المستوطنين اليهود الجدد، القادمين من أوروبا الغربية، في موجة الهجرة الثانية، كانوا مقتنعين أن فلسطين العثمانية هي "أرض إسرائيل" التي تخصهم. لذلك كان "لقاء الصدمة" مع السكان العرب المحليين الذين بدوا لهم غرباء عدائيين يجب قهرهم.

مثّله آحاد هاعام[16] (١٨٥٨ – ١٩٢٧)، والتوجه العسكري الذي مثله الكاتب الصهيوني القديم ميخا يوسف بيرديشيفسكي (١٨٨٠ – ١٩٤٠). وقد رفع الأول من تفرّد اليهود كشعب روحاني، بينما عرّف الثاني اليهود بمعايير سياسية وعسكرية على أساس أنهم "شعب عادي".

وتلخص شابيرا: كانت المعايير الأساسية في هذا الجدل هي الروحيّ في مقابل العالمي، شعب مختار أم شعب عادي، يافني مقابل بيتار"[17].

وتعتقد شابيرا أن ذلك كان جدلا أيديولوجيا يتعلق بما تعنيه القصة التوراتية. والتفسيران الصهيونيان، كما توضح، ملتزمان بالتوراة، في إعادة البناء القومي اليهودي. وهذا يعني، طبقا لشابيرا، أن الصهيونية كانت في الأصل – من ١٨٨١ حتى ١٩٠٤ – إعادة بناء عصرية للقصص التوراتية، ومثل كتّاب الجيل السابق، تركز شابيرا على التوراة كمرجع تاريخي أساسي، كما أنها "مصدر الوحي المتعلق بالمستقبل" للحركة الصهيونية.

تبدأ شابيرا بالظروف اليهودية في روسيا القيصرية، وبعد ذلك تقدم فلسطين العثمانية باعتبارها نقطة نهاية، لا نقطة بداية، لتحليلها. لذلك يكون عنوان الفصل الثاني "اللقاء مع الواقع في أرض إسرائيل". وتشير شابيرا إلى أن النوع الجديد من المستوطنين اليهود الجدد، القادمين من أوروبا الغربية، في موجة الهجرة الثانية، كانوا مقتنعين أن فلسطين العثمانية هي "أرض إسرائيل" التي تخصهم. لذلك كان "لقاء الصدمة" مع السكان العرب المحليين الذين بدوا لهم غرباء عدائيين يجب قهرهم. تكتب شابيرا:

> رأى اليهود أنفسهم كمؤسسين لثورة يهودية، ولهذا كان عليهم أن يتخلصوا من الموقف اليهودي التقليدي تجاه الأغيار. ومصطلح "تحرير الأرض" كان يستخدم في الخطابات في يافا، حيث كان يقال أيضا أن انحناء الرأس إذعانا، كما تعود اليهود أن يفعلوا في الدياسبورا، لم يعد مسموحا به. ومثل هذا الحديث كان يناسب الحاجة الروحية لأولئك الشباب، للتعبير بشكل عدواني عن الفرق بين ما باتوا عليه في البلاد، وما كانوا عليه في الدياسبورا[18].

ويبدو أن المهاجرين الصهيونيين الشباب أصابهم تحول قوميّ في روسيا، قبل أن يصلوا إلى يافا. إن صلفهم وموقفهم العدواني تجاه العرب في يافا، يفسّر من قبل شابيرا كتحول في إحساسهم القومي الجديد بأنفسهم. ومن الطبيعي أن يرى أعضاء الهجرة الثانية أنفسهم كنسل جديد من يهود معتزّين بأنفسهم وقانعين وخالين تماما من الموقف اليهودي التقليدي تجاه الأغيار. لذلك نظروا إلى مشروعهم الاستيطاني في فلسطين العثمانية وكأنه "تحرير لأرض" أو "حرب من أجل الحرية". على أية حال، من الواضح تماما أن شابيرا تقدم لنا الواقع التاريخي لفلسطين العثمانية في ذلك الوقت من وجهة نظر ذاتية، هي وجهة نظر المستوطنين الصهيونيين أنفسهم. لذلك، فإن الانطباع العام هو أنها تلتقط التصريحات العدوانية "والبطولية" التي كانت تسمع في يافا في ذلك الوقت، وتعتبرها تصنيفا تفسيريا أكبر للموقف الصهيوني. واستنادا إلى ذلك، فهي تفسر الموقف الصهيوني كمطلب للمبادئ القومية ليهود أوروبا الشرقية من خلال "الواقع في البلاد". والموقف الكولونيالي الواضح للمستوطنين الصهيونيين يتحول لديها إلى أمر مثالي، باعتباره "محاولة

ترى شابيرا بكل وضوح أن الموقف العدواني للصهيونية محصلة لا يمكن تجنبها لتجربتها الكولونيالية. مع ذلك، تصر على أن الصهيونية، كحركة تحرر قومي، كانت دائما خيّرة ومستنيرة. وهذا التناقض التاريخي والمفهوميّ في الوقت نفسه، يفسر من قبل شابيرا باعتباره "ثنائية" طبعت الصهيونية منذ ذلك الحين. وترى شابيرا أن الحرس القديم لحركة العمل الصهيونية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين أعلوا من شأن "الرسالة التحررية التقدمية" للصهيونية، وبالتالي تدبروا أمر حذف توجهها الخارجي العدواني تجاه العرب.

لزرع المنظور الجديد للتاريخ اليهودي". والموقف الصهيوني القتالي تجاه العرب يصبح لديها بداية "المنظور الجديد للتاريخ اليهودي". وهكذا فإن الموضوع الأساسي لدراستها ليس واقع فلسطين في ذلك الوقت، بل "اللقاءات المأساوية" بين مبادئ القومية ليهود أوروبا الشرقية و"واقع أرض إسرائيل".

كان المعنى الأول للأخلاقيات القومية الجديدة هو خلق صورة جديدة لليهود، غير ضعفاء بعد الآن، ولذلك فهم العادلون، لكن كشعب له حسنات الشعوب الأخرى وسيئاتها، ويعرف كيف يتصرف وفقا للأحكام المعلنة للعبة السياسية[١٩].

تضع شابيرا بوضوح تام غياب الموقف السياسي للاستيطان الصهيوني إلى جانب المبادئ الأيديولوجية لقومية يهود أوروبا الشرقية. الظروف السياسية الجديدة للاستيطان الصهيوني تقنن من قبلها كبيان خاص بالأخلاق القومية اليهودية القديمة.

وفي الفصل الأخير من الكتاب، الذي يحمل عنوان "مولد الدولة"، قامت شابيرا بمراجعة تفسيرها للحروب الصهيونية ضد العرب. كانت الصهيونية، كما تشير، حركة قومية، وجدت نفسها وسط ظروف كولونيالية اضطرتها، ضد إرادتها، لتبني توجه عدواني تجاه الشعب الفلسطيني المحلي. وتكتب شابيرا:

> كانت الحركة الصهيونية، من نواح عدة، حركة قومية فريدة. كان من سماتها الفريدة أنها حركة تحرر وطني في بلاد كولونيالية. هذه الثنائية، بين رسالتها التحررية الداخلية التقدمية، وموقفها العدواني، كانت دافعا مركزيا في تشكيل الصور الذاتية والمبادئ، وأخيرا في التجربة العملية للحركة الصهيونية. لقد تشكلت السيكولوجيا الصهيونية بمقياس حركة التحرر الوطني إلى جانب مقياس الحركة الكولونيالية الأوروبية في واحد من بلدان الشرق الأوسط[٢٠].

ترى شابيرا بكل وضوح أن الموقف العدواني للصهيونية محصلة لا يمكن تجنبها لتجربتها الكولونيالية. مع ذلك، تصر على أن الصهيونية، كحركة تحرر قومي، كانت دائما خيّرة ومستنيرة. وهذا التناقض التاريخي والمفهوميّ في الوقت نفسه، يفسر من قبل شابيرا باعتباره "ثنائية" طبعت الصهيونية منذ ذلك الحين. وترى شابيرا أن الحرس القديم لحركة العمل الصهيونية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين أعلوا من شأن "الرسالة التحررية التقدمية" للصهيونية، وبالتالي تدبروا أمر حذف توجهها الخارجي العدواني تجاه العرب. هذا الحذف شارك فيه كل قادة الصهيونية التاريخيين. وفوق ذلك، تصر على أن هؤلاء القادة، استمروا حتى سنوات قادمة، تصل إلى حرب ٤٨، في إيمانهم بالأخلاقيات الدفاعية، وحاولوا تجنب الصراع العنيف مع الفلسطينيين. وهكذا، وفي وقت لاحق، عندما اعتبر الصدام محتوما، اخترعوا مبدأ "لا يوجد خيار آخر" كمبرر أخلاقي منطقي لموقفهم العدواني. وفي نهاية الأمر، توضح شابيرا أن خيار "الأخلاقيات العدوانية" حدث كنتيجة محتومة لظروف تاريخية، بالرغم من أن رفض العنف موقف جوهري لدى القيادة الصهيونية.

إن الخوف من محرقة جديدة، في أرض إسرائيل هذه المرة، ستمحو آخر أثر من أمل الشعب اليهودي، كان عاملا حاسما في "لا يوجد خيار آخر" خلال أربعينيات القرن العشرين. هذه المرة،

الاستيطان في اراضي ٦٧: معارضة اسرائيلية خجولة

كان اليهود هم الذين طلبوا الإخضاع، وكانوا مستعدين للمغامرة في حرب، وفي حياة وموت، بكل ما يأتي به ذلك من نتائج[٢١].

وتركز شابيرا هنا على ما تسميه "الدافع اليهودي المتأصل"، وهو على وجه التحديد، "الخوف من محرقة جديدة"، كعامل أساسي استلزم الدفاع عن أخلاق العدوان الجديدة في أربعينيات القرن العشرين. وهي تصر على أن قادة الصهيونية كانوا مدفوعين أساسا بالظروف اليهودية في أوروبا، أكثر من الظروف الصهيونية الكولونيالية في فلسطين. على أية حال، فهي في الوقت نفسه، تعترف أن ذلك الدفاع عن "الأخلاقيات العدوانية" خلال أربعينيات القرن العشرين عكس أيضا نهوض أجيال أصغر من اليشوف الصهيوني. كان ذلك هو الجيل الذي ولد في فلسطين، والذي كان متحررا من العقلية اليهودية، ومتحررا بالتالي من "الأخلاقيات الدفاعية" للجيل السابق. وخلال تسع صفحات كاملة، تعيد شابيرا بناء هذه التفرقة بين وجهة النظر الأيديولوجية ليهود أوروبا الشرقية، الذين تسميهم "جيل الآباء" وتوجّه أرض إسرائيل العدواني الذي حمله "جيل الأبناء". ويبدو من ذلك أن شابيرا ترى موقف السياسات الصهيونية تجاه الفلسطينيين بمعايير "عقليّات" مختلفة لأبطالها. لذلك كان نصر الواقعيّ غير الأيديولوجي لجيل أرض إسرائيل، كما تستنتج، على "العقلية اليهودية" لحرس أوروبا الشرقية القديم، ما أنتج "الأخلاقيات الدفاعية" للحركة الصهيونية، ثم بعد ذلك دولة إسرائيل.

وشابيرا، تماما مثل كولات، وجميع كتّاب التيار الرئيسي بعد فترة ٦٧، يبدو أنها تعترف بالتجربة الصهيونية "كنتيجة لتطور تاريخي". وعلى أية حال ، فإن هذه النتيجة، كما ترى، لا تقلل من شأن البناء الصهيوني الذي استند إلى "التجدّد الروحي والاجتماعي والأخلاقي للشعب اليهودي". وطبقا لدفاع شابيرا، فأيا كانت نتيجة الموقف العدواني للصهيونية تجاه المواطنين الفلسطينيين المحليين، كحركة قومية نقيضة، فقد ظلت الصهيونية حركة أخلاقية وعادلة بشكل أساسي. يشكل كتاب شابيرا، كدراسة، نموذجا لما يمثله جيلها من الأكاديميين الإسرائيليين. فهي من ناحية، تمثل التوجه السياسي غير الأيديولوجي لجيل ما بعد ٦٧، ولكنها من ناحية أخرى ما تزال تعرّف المواقف الصهيونية بمعايير فوق تاريخية للصهيونية الأيديولوجية، مثل "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية". والمحصلة خليط من التحديث في التوجّه الأكاديمي لجامعة تل أبيب ووجهة النظر الأيديولوجية القادمة من القرن التاسع عشر، والتي تتبناها "مدرسة القدس" القديمة. وفوق ذلك، تفشل شابيرا في ملاحظة أنه لم تكن "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية" وحدها هي التي أوحت بالموقف الصهيوني تجاه العرب. "الأخلاقيات الدفاعية" يجب أن ينظر إليها بالمعايير التي تعمل من خلالها في السياق التاريخي للصراع الصهيوني الفلسطيني. بمعنى آخر، كانت الأخلاقيات الدفاعية اليهودية، في الوقت نفسه، تبنى ويعاد بناؤها، من قبل قادة الصهيونية، كأمر أيديولوجي عقلي في صراعهم ضد الفلسطينيين[٢٢].

جورج ل. ماكدويل، في مراجعته لسيرة حياة جديدة لتوماس جيفرسون، نقل عن الأخير أنه قال:

لا يستطيع أيّ مجتمع أن يضع دستورا دائما، أو حتى قانونا دائما. إن الأرض تنتمي للأجيال التي تعيش فوقها[٢٣].

بالنظر إلى حالة الصهيونية، تجادل شابيرا بطريقة مختلفة، هي أن "أرض إسرائيل" لم تكن تنتمي دائما إلى الجيل الذي يعيش فوقها، وأن المجتمع اليهودي أنجز "دستورا دائما"، هو على وجه التحديد "الأخلاقيات الدفاعية الإسرائيلية". مع ذلك، ومن خلال نظرة تاريخية، لا وجهة نظر فوق تاريخية، فإن الصهيونية، مثل "الأجيال الحيّة الأخرى"، استمرت كل الوقت في الدفاع عن حياتها بكل الوسائل الممكنة. وعلى ضوء مقولة جيفرسون، يبدو أنه كان هناك مستوطنون صهيونيون أحياء، قاموا، وسط ظروف صعبة، وضعف نسبي، وباعتماد كامل على الحكم البريطاني في السنوات المبكرة، باختراع "الأخلاقيات

الدفاعية اليهودية". خلال أربعينيات القرن العشرين، وبوضوح تام خلال حرب ٤٨، كانت القيادة الصهيونية القديمة هي نفسها، وهي التي شعرت بأنها قوية بما يكفي لتبنى "أخلاقيات دفاعية"، وبعد ذلك، لتقهر المواطنين الفلسطينيين المحليين.

تفترض شابيرا في الأساس "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية" للصهيونية، لذلك، يضايقها الموقف الصهيوني الحربي، كاستثناء، أو كرفض للموقف الأول. وكتابها في الواقع محاولة دفاعية لعقلنة السياسة الصهيونية العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني، كاعتراف متأخر، لا بصفتها الجوهر الحقيقي للسياسة الصهيونية. ودون شك، وفي فترة ما بعد ٦٧، لم يكن هناك سوى كتّاب التيار الرئيسي، من أمثال شابيرا، ممن يستمرون في وصف الموقف الصهيوني الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين، بمعايير "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية".

استنتاجات

وهكذا، فإن الدراسات الإسرائيلية بعد حرب ٦٧، كانت مزيجا من النماذج السياسية العقلية والنماذج الذاتية الأيديولوجية التوجّه، مما يسميه شومسكي "مذهب الدولة"[٢٤]. والموضوع الرئيسي في معظم الدراسات الهيستوريوغرافية والسوسيولوجية خلال سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، كانت حول اليشوف الصهيوني كهوية يهودية جمعية تعيش مستقلة عن الشعب الفلسطيني[٢٥]. وقد أدرك هؤلاء الكتاب "سلسلة العلاقات داخل الشرق الأوسط"، وخصوصا الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وبعكس الكتاب السابقين من "مدرسة القدس"، كتبت شابيرا وكولات عن ظروف صراع الاستيطان الصهيوني في فلسطين الانتدابية. مع ذلك، ومثل الكتاب السابقين، ظلوا يفسرون هذه العلاقات السياسية بمعايير ما أسمته شابيرا "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية".

في ثمانينيات القرن العشرين، بدأت كتابات نقدية جديدة تنشر. هذه الدراسات، مثل كتاب بيني موريس، مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين (١٩٨٨)، وكتاب إيلان بابيه، خلق الصراع العربي الإسرائيلي (١٩٩٢) وكتاب آفي شلايم، تواطؤ عبر الأردن: الملك عبد الله والحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين (١٩٨٨) تمثل نقلة نوعية في الهيستوريوغرافيا الإسرائيلية، وبالتالي، تغيرا في الخطاب الإيديولوجي الإسرائيلي. وقد ظهرت أعمال "المؤرِّخين الجدد" إلى جانب أعمال سوسيولوجيي "ما بعد الصهيونية" وعلماء السياسة الذين اقترحوا جدلا نقديا و/أو إعادة بناء الخطاب الأيديولوجي القديم. وفي الوقت نفسه، اقترحوا ما يسميه أوري رام "سوسيولوجيا نقدية"، أي تحليلا اجتماعيا سياسيَ التوجه لموضوع إسرائيل الصهيونية. وأشير بشكل رئيسي إلى أعمال باروخ كيمرلنغ (١٩٨٣) وأفيشاي إيرليخ (١٩٨٧) وغيرشون شافير (١٩٨٩) وأوري رام (١٩٩٤) وأورن يفتاحيل (١٩٩٨).

في هذا السياق، يجب أن ينظر إلى عملي النقدي أساسا على ضوء أعمال أفيشاي إيرليخ. وهو في مقالة بعنوان "إسرائيل: الصراع والحرب والتغير الاجتماعي[٢٦]" ينتقد السوسيولوجيا الإسرائيلية بوضوح، بسبب فشلها في دراسة أهمية الصراع الإسرائيلي العربي. يقول إيرليخ إنه "بالرغم من مركزيته في حياتنا اليومية، ما يزال الصراع الإسرائيلي العربي مساحة هامشية مهملة في أبحاث التيار الرئيسي لعلم الاجتماع الإسرائيلي"[٢٧]. ومع أنه أنتج كثيرا من الملاحظات النقدية الجديدة، فإن المجتمع الإسرائيلي ما يزال "ملتزما بالإجماع القومي حول الخصوصية اليهودية". وقد وضعت الأبحاث المتأخرة المجتمع الإسرائيلي والمواطنين العرب داخل "برنامج عمل تحليلي واحد، اسمه: نموذج المستوطن الكولونيالي". وتحدث إيرليخ بوضوح عما يسميه "المقاربة التكاملية". واستعار تعريف ي. ب. ثومبسون لـ "الطبقة"، ليس كـ "شيء" بل أقرب إلى "علاقة متبادلة"، وكتصنيف تفسيري أساسي للموضوع الإسرائيلي الفلسطيني. يقول إيرليخ إن "اليشوف والمجتمع الفلسطيني ليسا من "الفئات" المستقلة، أو "الأبنية" حتى يدرسا منفصلين ثم يتم جمعهما معا، بل يجب أن ينظر إليهما باعتبار أنهما يشكلان بعضهما ويعيدان التشكيل عبر العملية التاريخية للصراع"[٢٨]. وفي ضوء معايير التكامل في مقاربته، ينتقد إيرليخ أنماط الدراسات الأخرى. ويشير إلى أن أولئك الأكاديميين، رغم كونهم نقديين إلى حد ما، ما زالوا يعرّفون موضوعهم الإسرائيلي بنفسه ولنفسه، منفصلا عن السياق العام للصراع الإسرائيلي العربي. وهذا يعني أنهم ما زالوا

يقبلون الفرضيات الأساسية للأيديولوجية القيادية فيما يتعلق بالتاريخ والسوسيولوجيا الخاصين بالمجتمع الإسرائيلي ودولة إسرائيل. لذلك فإن دراساتهم تبدأ بالمجتمع الإسرائيلي بمجرد أن أسس آليته عام ١٩٤٨، وهم حتميا يقفزون عن أثر حرب ٤٨ وهدم المجتمع الفلسطيني بواسطة دولة إسرائيل. ويستنتج إيرليخ أن المجتمع الإسرائيلي يجب أن يتم تحليله بمعايير ما تمت تسميته شمولية الظروف الإسرائيلية الفلسطينية. ثم يصل إيرليخ إلى أنه:

مثاليا، يرغب الإنسان في أن يوضح كيف نشأت كل السمات الأساسية في المجتمع الإسرائيلي من خلال الصراع [...] وتطور البحث نحو آثار الصراع يستدعي نقد المقاربات الحالية السائدة في العلوم الاجتماعية في إسرائيل، ووضع الخطوط الفاصلة بين حقول الدراسة والمقدمة الأساسية، التي تأثرت بالالتزام السياسي للنظام القائم. الثمن الذي ينتزعه الصراع من المجتمع الإسرائيلي يمكن فهمه بجعل الصراع نفسه مستقلا عن طريق حقل بحثي متكامل[٢٩].

وهكذا فإن تحليل إيرليخ يشكل مرجعية مهمة لدراستي. وهذا يعني أن استنتاجاتي هي أنه بعد ٤٠ عاما من حرب ٦٧ واحتلال أرض فلسطين بكاملها، حان الوقت لإبعاد "الأخلاقيات الدفاعية اليهودية" ووضع الصراع الإسرائيلي العربي كنقطة انطلاق حقيقية، وكمركز للخطاب الإسرائيلي السياسي والهيستوريوغرافي.

قائمة القراءات

أندرسون، بينيتيكت، ١٩٩١، المجتمعات المتخيلة، (لندن: فيرسو).

كار، هـ. إدوارد، ١٩٦١، ما هو التاريخ؟ (نيويورك: فينتاج بوكس).

شومسكي، ن. ١٩٧٩، اللغة والمسؤولية (نيويورك: بانثيون بوكس).

إيرليخ، أ. ١٩٨٧، "إسرائيل: الصراع والحرب والتغير الاجتماعي؛ في س. كيتون و م. شاو (محرران) سوسيولوجيا الحرب والسلم (لندت: ماكميلان).

فوكو، ١٩٧٣، الجنون والتمدن (نيويورك: فينتاج بوكس).

غيلنر، إيرنست، ١٩٨٣، الأقوام والقوميات (أكسفورد: بلاكويل).

" " ، ١٩٩٧، القومية، (لندن: ويدنفيلد و نيكولسون).

غرامشي، أنطونيو، ١٩٩١، ملاحظات السجن (نيويورك: مطبوعات جامعة كولومبيا).

هيغل، ج. و. ف، ١٩٤٢، في ت. م. نوكس (محرر) فلسفة هيغل حول اليمين (لندن: مطبوعات كلارندون).

هرتسل، ت. ١٩٧٣، دولة اليهود (القدس: هسفريا هتسيونيت).

هوبسباوم، إيريك، ١٩٨٩، الأمة والقومية منذ ١٧٨٩ (كامبريدج: مطبوعات جامعة كامبريدج).

" " ، ١٩٩٦، الهوية والسياسة واليسار، مجلة اليسار الجديد.

كيمرلنغ، ب. ١٩٨٣، الصهيونية والمناطق (بيركلي: مطبوعات جامعة كاليفورنيا).

" " ١٩٨٥، بين التعريف البدائي والمدني للهوية الجمعية: أرض إسرائيل أم دولة إسرائيل؟ في ي. كوهن، م. ليساك، و. ألماغور (محررون) الديناميات الاجتماعية المقارنة (كو و ويستفيو: بولدر).

كون، هانس ١٩٦٧ مقدمة للدول القومية: التجربة الفرنسية والألمانية ١٧٨٩ – ١٨١٤ (برينستون: فان نوستراد كومباني).

كولات، ي. "الحركة الصهيونية والعرب"، في دراسات في الصهيونية، عدد ٥، ١٩٨٢.

" " هاهيستوريا هاحداشا شيل ١٩٤٨، في تيوريا أوبيكوريت، ٣، ١٩٩٣.

موريس، ب. ١٩٨٧، مولد مشكلة اللجئين الفلسطينيين ١٩٤٧ – ١٩٤٩ (كامبريدج: مطبوعات جامعة كامبريدج).

بابيه، ي. ١٩٩٢، خلق الصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٧ – ١٩٥١ (لندن: ي. ب، توريس).

" " التأرخة الجديدة لـ ٤٨، مجلة نظرية ونقد، ٣، ١٩٩٣.

بيليد، ي. ١٩٨٩ (الطبقة والانتماء العرقي في الحظيرة: الاقتصاد السياسي للقومية اليهودية العمالية أواخر أيام روسيا الإمبريالية (نيويورك: ماكميلان).

رام، و. ١٩٩٥، الأجندة المتغيرة للمجتمع الإسرائيلي (نيويورك: مطبوعات جامعة الولاية).

شابيرا، أ. ١٩٩٢، الأرض والقوة: ملاذ الصهيونية في القوة (نيويورك: أكسفورد).

" " ١٩٨٨، هاهاليخا أل كاف هاوفك (تل أبيب: كيبوتز هميئوهاد)
شلايم أ. تواطؤ عب الأردن: الملك عبد الله والحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين (أكفورد: كلارندون).
شافير، ج. ١٩٨٩، الأرض والعمل وجذور الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، (كامبريدج: مطبوعات جامعة كامبريدج).
يفتاحئيل، و. ١٩٩٩، "الأثنوكراسي: سياسات تهويد إسرائيل/ فلسطين" في: أبراج، مجلد ٦، عدد ٣.

الهوامش

[١] أول تنظيم عسكري صهيوني حمل اسم الهاغاناه (الدفاع). والجيش الإسرائيلي، الذي تأسس خلال حرب ١٩٤٨ وأصبح أقوى الجيوش وأكثرها عدوانية في الشرق الأوسط، ما زال يحمل اسم "جيش الدفاع الإسرائيلي".

[٢] ي. هوبسباوم، سياسات الهوية واليسار، مجلة اليسار الجديد، ١٩٩٦، ص ٤١.

[٣] ي. بيليد، ١٩٨٩، الطبقة والإثنية في الحضيرة: الاقتصاد السياسي لقومية العمال اليهود أواخر أيام روسيا الإمبريالية (نيويورك: ماكميلان)، ص ١٨.

[٤] يعرف باروخ كيمرلينغ الصهيونية "أيديولوجية واجتماعية معا" كتوليفة من أربعة عناصر: i) الديانة اليهودية ii) أفكار اشتراكية متنوعة iii) قومية علمانية vi) الليبرالية الكلاسيكية. يقول: "نحن نبدأ بتحليل مساهمات كل من هذه المكونات في الحركة القومية اليهودية وهويتها الجمعية." وهكذا، كما يشرح، فإن القومية اليهودية، أي الصهيونية، انتقلت من التوجه الخاص الذي تطور ضمن مكونات دينية وانتعشت التوجهات الكونية في المكونات الأخرى.

[٥] الترجمة الحرفية لكلمة "Aliya" هي الصعود، أو الحج. تاريخيا، كان ذلك هو المصطلح العبري للهجرة اليهودية إلى "أرض إسرائيل"، أي فلسطين. وفي السياق الصهيوني كان يستعمل لتحويل الأمر إلى مثال، وبالتالي لجعل مشروع الاستيطان الصهيوني قانونيا. إنها حالة خاصة مما يدعوه موشيه زوكرمان "نفعية أيديولوجية" للمصطلحات اليهودية التقليدية من أجل الهدف الصهيوني الحديث.

[٦] ت. هرتسل، ١٩٧٣، دولة اليهود (القدس، هاسفريا هازيونيت).

[٧] كلمة يشوف تعني حرفيا "استقرار". وفي السياق الصهيوني استخدمت لوصف التجمع اليهودي في فلسطين. وهكذا قدم الاستيطان الصهيوني باعتباره استمرارا لليشوف اليهودي القديم في فلسطين.

[٨] إ. بابيه، التاريخ الحديث ل ١٩٤٨، في تيورا فيبيكوريت، ٣، ١٩٩٣، ص ١٠٤.

[٩] تجادل أنيتا شابيرا ضد المؤرخين الجدد في إحدى مقالاتها: "هذه الظروف اليهودية التاريخية مرفوضة كليا من قبل معظم المؤرخين الجدد. ليسوا معنيين بالعملية التي حدثت في أوروبا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين التي قادت إلى انبثاق الصهيونية. أمام أعينهم، تبدو قضية فلسطين معزولة عن السياق الأوسع ليهود أوروبا وتقف في فضاء مختلف، هو الشرق الأوسط". (أ. شابيرا، السياسة والذاكرة الجمعية: الجدل حول المؤرخين الجدد في إسرائيل"، في التاريخ والذاكرة، رقم ٧، ١٩٩٧: ١، ص ١٦.

في مجادلتها الانفعالية مع المؤرخين الجدد تدافع شابيرا عن فرضيات الصهيونية الأيديولوجية الخاصة بالأجيال السابقة. مع ذلك، فإن قراءة سريعة لدراساتها تكشف أنها أيضا "غير معنية بالعملية التي حدثت في أوروبا"، بل بالعملية التي حدثت في فلسطين الانتدابية. وفوق ذلك، فإن الموضوع الرئيسي في معظم دراسات شابيرا هو "المسألة الفلسطينية" لا "مشكلة يهود" أوروبا الشرقية.

[١٠] إ. كولات، التاريخ الجديد ل ١٩٤٨، في تيوريا أوبيكوريت، ٣، (١٩٩٣)، ص ١٠٤.

[١١] الحركة الصهيونية، ص ١٣٠.

[١٢] العنوان الذي نشر به الكتاب بالإنكليزية، الأرض والقوة، أقل حملا للأيديولوجية وأكثر حيادية من العنوان العبري، سيف الحمامة. وهذه هي حالة الترجمة الإنكليزية لدراسات التيار الرئيسي الأكاديمية.

[١٣] أ. شابيرا، ١٩٨٨، Hahaliha Al Kav HaofekK، (تل أبيب، هاكيبوتس هميوحاد) ص ٧.

[١٤] هيريف، ص ١٣.

[١٥] السابق، ص ٤٩٦.

[١٦] اسم الشهرة لمؤسس "الصهيونية الروحية"، وهو يعني "أحد الناس". واسمه الحقيقي هو آشر غينسبيرغ.

[١٧] السابق ص ٥٢. أصبحت يافني أكبر مركز ديني يهودي بعد انهيار المملكة اليهودية في القدس عام ٧٠ م. أما بيتار فكانت مركز الثورة العسكرية اليهودية ضد حكم الرومان، بزعامة القائد العسكري بار – كوشفا عام ١٣٠م.

[١٨] السابق، ص ١٠٥.

[١٩] السابق، ص ٤٩.

[٢٠] السابق، ص ٤٨١.

[٢١] السابق، ص ٤٨٥.

[٢٢] أول منظمة عسكرية صهيونية حملت اسم هاغانا (الدفاع). والجيش الإسرائيلي، الذي تشكل خلال حرب ٤٨، وصار أقوى جيوش الشرق الأوسط وأكثرها عدوانية، ما زال يحمل اسم "جيش الدفاع الإسرائيلي".

[٢٣] في TLS، ١٦ حزيران، ١٩٩٥.

[٢٤] ن. شومسكي، ١٩٧٩، اللغة والمسؤولية، (نيويورك، بانثيون بوكس)، ص ٣٨.

[٢٥] أنيتا شابيرا ويوسف غورني وزملاؤهم في جامعة تل أبيب، أسسوا أوائل سبعينيات القرن العشرين "معهد الأبحاث الصهيونية". بدا الأمر وكأنهم يدرسون الصهيونية كموضوع تاريخي مستقل. لكن، في الوقت نفسه، ظل المعهد يعتبر جزءا تكامليا من دائرة التاريخ اليهودي.

[٢٦] أ. إيرليخ، "إسرائيل: الصراع والحرب والتغير الاجتماعي"، في س. كرايتون و م. شاو (محرران)، سوسيولوجيا الحرب والسلم (لندن: ماكميلان، ١٩٨٧).

[٢٧] السابق، ص ١٢١.

[٢٨] السابق.

[٢٩] السابق، ص ١٤١.

المقال مترجم عن الانجليزية

الرواية الاسرائيلية الرسمية عن حرب حزيران

بدأ عام ١٩٦٧ وسط توقّعات أكيدة بأنّه لن يشهد حربًا. وساد الاعتقاد في إسرائيل أن عبد الناصر استخلص عِبر ١٩٥٦ وبأنّه لن يخوض حربًا إلا إذا كان مستعدًا لذلك. وعلى كل حال، كان واضحًا أن العلاقات بين عبد الناصر والأردن كانت سيئة جدًا وأن احتمال إقامة تحالف بينه وبين الملك حسين غير وارد. ولكن تسلسل الأحداث بسرعة أثبت أنّ هذه التوقعات خاطئة. وكان اشتباك جويّ أُسقِطت خلاله ١٣ طائرة سورية في الوقت الذي اعتُبرت فيه سورية أكبر دول حليفة لروسيا في الشرق الاوسط بمثابة المؤشر على بداية الحرب. وبتشجيع من الاتحاد السوفياتي، قام عبد الناصر بالتعبئة وبإرسال ١٠٠،٠٠٠ جندي إلى سيناء. وطالب عبد الناصر السكرتير العام للأمم المتحدة بسحب قوات الطوارئ الدولية حالا، وحقّق ، وربّما بشكل فَاجأه أيضًا، نجاحًا في ذلك، إذ غادرت قوات الطوارئ المنطقة على الفور. ثم أعلن عبد الناصر عن إغلاق مضائق تيران أمام حركة الملاحة الإسرائيلية مما شكّل دافعًا واضحًا للحرب. واستكمل عبد الناصر خطواته باستفزاز اسحق رابين، رئيس هيئة الأركان في ذلك الحين: "دعوه يجيئ، إنّني أنتظره". وفي الوقت نفسه تمكّن عبد الناصر من تحقيق التنسيق الوثيق مع الجيش السوري.

وتوجّه الملك حسين في تحول مفاجئ إلى مصر حيث وقّع اتفاقًا وُضعت بموجبه القوات الأردنية تحت إمرة القيادة المصرية. وقد كلّفه ذلك نصف مملكته.

انتظرت إسرائيل، والتي قامت بتعبئة عامّة لقوات الاحتياط وكانت أعصابها متوترة وعلى وشك الانهيار، انتظرت ثلاثة أسابيع طويلة. وكانت الأوضاع تختلف عمّا كانت عليه ١٩٥٦؛ فكانت إسرائيل تواجه وحدها تحالفًا عربيًا قويًا. وامتنعت الدول العظمى رغم وعودها الغامضة عن اتخاذ أية خطوات بهدف إعادة فتح المضائق فقرّرت إسرائيل المضي قدمًا وحدها.

في الخامس من حزيران ١٩٦٧ شوهد على شاشات الرادار الأردنية سرب طائرات في طريقه من مصر إلى إسرائيل. وبعد أن أقنع المصريون الملك حسين أنّ هذه الطائرات هي طائرات مصرية، أصدر الملك حسين أوامره بالمهاجمة على الفور– في القدس! وبالفعل كانت هذه الطائرات طائرات إسرائيلية في طريق عودتها من مصر حيث وجّهت ضربة مدمّرة لسلاح الجو المصري والذي فوجئ بالغارة: فبعد السخرية من رابين لم تكن مصر مستعدّة لوصوله.

خلال فترة وجيزة استمرت ستة أيام، اجتاح جيش الدفاع الإسرائيلي شبه جزيرة سيناء وصولا إلى قناة السويس؛

واستولى على الضفة الغربية بأسرها حتّى نهر الأردن؛ وخلال الأيام الأخيرة، دون استغلال مبدأ المفاجأة، استولى على جزء كبير من هضبة الجولان، بما في ذلك جبل الشيخ الذي أصبح من ذلك الحين فصاعدًا "عيني إسرائيل وأذنيها". وكان الاستيلاء على البلدة القديمة من أورشليم القدس والعودة إلى أقدس مكان لليهود– حائط المبكى، أهم حدث في الحرب. وسُمع صدى النفخ ببوق الشوفار في باحة حائط المبكى في أقصى العالم.

قُتل في حرب الأيام الستة ٧٧٦ جنديًا إسرائيليًا.

رغم أنّ جميع أذرع الجيش أدّت مهامها بشكل جيد، فإن سلاح الجو لعب للمرة الأولى دورًا حاسمًا، إذ أنّ جعْل الأجواء خالية من طائرات العدو في البداية أفسح المجال أمام حصول جميع التطورات اللاحقة. فكانت هذه حربًا لسلاح الجو.

انتهت بدون نتيجة المساعي الدبلوماسية لوضع حد للنزاع الذي استمرّ حتى ذلك الحين ٤٠ سنة، والذي سبق إقامة الدولة بأكثر من عقدين. ففي تشرين الثاني ١٩٦٧، بعد مرور أشهر من المداولات، صادق مجلس الامن الدولي بالإجماع على قرار ٢٤٢، والذي يدعو إلى سلام والاعتراف "بحق أي دولة في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها" مقابل انسحاب إسرائيل من "اراضٍ" وليس من "جميع الأراضي" أو "الأراضي التي احتلّتها خلال العمليات العدائية الأخيرة". ورغم ذلك، تبنت الجامعة العربية خلال قمتها في السودان (١٩٦٧) قرارًا آخر، "اللاءات الثلاث" في قمة الخرطوم: لا للسلام، لا للتفاوض ولا للاعتراف بإسرائيل.

كانت حرب الأيام الستة أول محاولة ملموسة من جانب العرب منذ ١٩٤٨ للقضاء على دولة إسرائيل. ففي تشرين الثاني ١٩٦٦، تم توقيع اتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسورية، مما شجع سورية على تصعيد التوتر والذي بلغ ذروته في ربيع عام ١٩٦٧.

١٤ أيار: مصر تقوم بتعبئة قواتها في قناة السويس ومحيطها.

١٦ أيّار: مصر تقوم بتحريك قواتها شرقًا عبْر صحراء سيناء باتجاه الحدود مع إسرائيل وتطالب بسحب قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة المنتشرة على امتداد الحدود.

١٩ أيار: مصر تقوم بطرد قوة الطوارئ الدولية (UNEF) من قطاع غزة وسيناء، وتواصل نقل قوات عسكرية إلى هاتين المنطقتين.

٢٢ أيار: مصر تُغلق مضائق تيران بوجه الملاحة الإسرائيلية، الأمر الذي تعتبره إسرائيل سببًا يبرّر شن حرب.

٢٤ أيار – ٤ حزيران: استجابة لدعوة مصر، تقوم حكومات الأردن والعراق والعربية السعودية وسورية ولبنان بتحريك قواتها المسلحة باتجاه الحدود الاسرائيلية. إسرائيل تقوم بتعبئة جنود الاحتياط وتشن حملة دبلوماسية في مسعى لحشد تأييد دولي لإلغاء الحظر المصري على حركة الملاحة الإسرائيلية في مضايق تيران.

(حرفيا عن موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية)